النيروز و التقارب الثقافي

■ محمد أسدي موحد(باحث وأستاذ جامعة)

النيروز مهرجان تاريخي ـ وطني يحتفي به الايرانيون منذ زمن بعيد ، ورثوه عن اسلافهم الماضين. و الاحتفال بالنيروز لا يقتصر على ايران وحدها ، بل يحرص الايرانيون في معظم البلدان التي هاجروا اليها ، الاحتفال بالنيروز و احياء الآداب والطقوس الخاصة به، و التعبيرعن انتمائهم الشعبوي المتجذر، وسعة انتشار الثقافة الايرانية. ومن الواضح أن انتشارالاحتفال بالنيروز واعياد الربيع ، امتد الى مناطق عرفت الحضارة الايرانية وعاشت في اكنافها ، و منها آسيا الوسطى، و القوقاز، و دول الجوار الايراني في الغرب و الشرق سواء العراق و تركيا وباكستان و الدول المشرفة على الخليج الفارسي ، بل و بلاد أخرى نظير بلدان البلقان و شبه القارة الهندية. وفي الحقيقة ان هذا المهرجان الفخم تجاوزت أبعاده جغرافيا ايران و ثقافة الامة الايرانية ، ليلقي بظلاله على حضور انساني واسع الانتشار و مساحة جغرافية متعددة الجهات .

النيروز في الثقافة الايرانية

في معظم الثقافات يتم الاحتفال بحلول السنة الجديدة بنحو ما، وذلك بممارسة عادات وتقاليد و طقوس خاصة. غير أن الاحتفال بالسنة الجديدة في الثقافة الايرانية، لا يقتصرعلى لحظات التحويل فحسب ، بل بشائر حلول العام الجديد تبدأ قبل ذلك بفترة . و ثمة تقاليد و آداب خاصة يتم اتخاذها استعداداً لاستقبال السنة الجديدة ، تتسم بخصائص مؤثرة فضلاً عن جماليتها. و من الخصائص التي تميّز الثقافة الايرانية على نحو خاص ، و حضارة بلاد فارس بشكل عام ، اقامة مجموعة من الاحتفالات والآداب والذكريات ، تؤدى اثناء حلول السنة الجديدة تحت عنوان (احتفال النيروز) ، و تقترن باستعدادات و تدابير خاصة .

تقاليد النيروز في العلاقات الثقافية

التقارب و التعاضد بين الدول ، يفضي في العادة الى بلورة مجموعة تتمتع ـ دون شك ـ بقوة اكبرمقارنة بقدرات الدول داخل المجموعة منفردة ، وبالتالي دفع الدول الاعضاء للتحرك في ضوء قرارات مشتركة. وفي الساحة الدولية الدول التي تستحوذ على تجربة تاريخية مشتركة في ظل هكذا تجمع ، قادرة على تحقيق مصالحها في ظل القرارات المشتركة ازاء القضايا الدولية، افضل بكثير من اتخاذ قراراتها لوحدها، ومن ثم الانتقال بتحركها من مستوى متواضع الى مستويات مقتدرة في ظل التعاون المشترك. و في هذا الصدد بوسع هكذا تقارب ، التمحور حول المجال الثقافي و القواسم الثقافية المشتركة، و من ثم سريانه الى المجالات الأخرى الاقتصادية و السياسية و غير ذلك .

و احتفال الايرانيين العريق باعياد الربيع ، الذي توارثوه عبر التاريخ بمثابة احد الآداب الثقافية البارزة بالنسبة لهم، بوسعه ـ بوحي من جذور التاريخية و المعنوية ـ ان يشكل عنصراً حقيقياً للتقارب الثقافي و الاجتماعي ، و عاملاً فاعلاً للارتقاء بالعلاقات بين شعوب المنطقة ، و تعزيز التعاون فيما بينها ـ خاصة في المجال الثقافي ـ و مدعاة لبلورة معالم الهوية و تحقيق المنافع المشتركة . النيروز وآدابه وثقافته ، يتمتع بخصائص و سمات اذا ما تم استيعابها بشكل سليم ، و الاستفادة منها على النحو المطلوب ، فانها قادرة على تعزيز و ترسيخ التعاون في مختلف المجالات. بعبارة أخرى، ان بوسع الآداب والطقوس المتبعة في النيروز، ان تشكل منطلقاً معنوياً وتاريخياً للتقارب الثقافي بين الدول الاقليمية ، و ذلك بالاستفادة من طاقاته الاستيعابية بما يساعد في توسيع التعاون الثقافي بين هذه الدول .

يتمتع مهرجان النيروز بجذور قيمية و معنوية متأصلة. و بفضل العمق التاريخي والثقافي الذي يتمتع به ، قادر على منح العلاقات بين الشعوب و الدول التي تنتمي الى هذه الثقافة و هذه الحضارة ، المعنى والمفهوم الحقيقي باعتباره ميراثاً معنوياً حافلاً بروح المودة و التآخي، و ارساء اسس الاتحاد والوحدة ، و مصدراً غنياً لصيانة الهوية الثقافية . بعبارة أخرى ، النيروز ـ او النوروز كما يسميه الايرانيون ـ بإعتباره ميراثاً تاريخياً ومعنوياً قاوم عوائد الدهر و تغلبه على كل الموانع و الصعوبات، بوسعه الاضطلاع بدور مؤثر في تنامي التعاون الاجتماعي و الاقتصادي بين الدول، فضلاً عن تكريس التواصل الثقافي . ذلك ان القواسم الثقافية و العادات و التقاليد المشتركة، بوسعها أن تشكل عنصراً هاماً و فاعلاً في التمهيد لتنامي العلاقات و تعزيزها بين دول المنطقة . ان مجرد التوجه الشعبي المشترك للتمحور حول مناسبة معينة نظير عيد النيروز ، بوسعه أن يمهد للتعامل المجدي و الفاعل في جوانب متعددة أخرى. ذلك ان ايمان الشعوب باحياء المناسبات التاريخية نظير الاحتفال بحلول العام الجديد، باستطاعته تحقيق الآمال المنشودة في تعزيز التقارب و التعاضد ، اذا ما تمت الاستفادة من طاقاته الاستيعابية المعنوية كما ينبغي .

ان مؤسسة الهدى الثقافية ـ الفنية للنشرالدولي، وانطلاقاً من مسؤولياتها في التعريف بالثقافة الايرانية و اطلاع شعوب العالم ونشرها على الساحة الدولية،عملت على اصدار هذا الملحق الخاص ، وتأمل ان يشكل خطوة مؤثرة على طريق تحقيق الاهداف المرجوة .